

فلسفة الدين جوزيا رويس أنموذجاً

حيدر عبد السادة جاسم الديبسي

أولاً: مفهوم فلسفة الدين:

لمعرفة المصطلح لابد من تفكيكه لينجلي مفهومه وبالتالي يسهل توصيفه، لقد شاع تعريف الفلسفة بأنها " حب الحكمة " ومع تشظي الفلسفة فإن المفهوم يتحدد تبعاً لكل اتجاه فلسفي ورؤية فلسفية وبالتالي فعل التفلسف يكون ميدانه منهجية الفيلسوف والإشكالية التي هو بصدد الاشتغال عليها وبحثها ((إن الفلسفة نشاط، طريقة في التفكير في أنواع بعينها من المسائل))⁽¹⁾

ولاسيما أن الهم الفلسفي المعاصر أبتعد عن المذاهب الكلية وهيمنتها سواء الأرسطية أو غيرها من المذاهب ذات الرؤية الشاملة وانحسر في حلقة بعض المشكلات المعرفية الجزئية مبلوراً مفهوماً جديداً لفعل التفلسف منطلقاً من الحاجة الواقعية لبحث هكذا إشكاليات هذا بالنسبة لمفهوم الفلسفة .

وأما بالنسبة لمفهوم الدين الذي هو عبارة عن مجموعة من الطقوس التي يعتنقها الفرد من خلال تجربة روحية يمر بها الفرد مسبقة بالاعتقاد، و ((إن مصطلح (دين) له كثير من المدلولات ومن ثم فإن هناك طرقاً كثيرة ومختلفة يمكن بها أن نصف شيئاً ما بمصطلح (ديني) أو بشكل آخر عندما يستخدم مصطلح (ديني) وهو يستخدم كثيراً بواسطة أنواع متباينة من البشر وفي سياقات متنوعة لا يكون من الواضح ما الذي يعنيه هذا المصطلح بالفعل . قد يعتقد المرء أن معنى هذا المصطلح مباشر وبسيط لأن الدين هو الشيء نفسه بالنسبة إلى الجميع، إلا أن هذه العبارة قد تفهم بشكل مخالف تماماً لدى شخص آخر))⁽²⁾

والدين مفهوم عام شامل يشمل كل ما يتدين به الشخص سواء دين إلهي أو دين وضعي ونحن لسنا بصدد البحث عن دين معين بقدر ما نريد فهم مدلول المصطلح الذي يدور حول طقوس عملية يقوم بها الشخص المعتقد ديناً ما بدافع إيماني .

1- واربورتون، نيجيل، الفلسفة الأسس، تر: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر - بيروت، ط1، 2009م، ص14

2- ناي، مالوري، الدين الأسس، ترجمة هند عبد الستار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر - بيروت، ط1، 2009م،

والذي نتطرق له بعد توضيح المصطلحين هو ماهية العلاقة التي تربط الفلسفة بالدين مع كون الاتجاهين مختلفين من جوانب عدة ولكن ((كان الدين دائماً، بألوانه العديدة، ملهماً للتأمل الفلسفي. وحتى في يومنا هذا يلجأ كثير من الناس إلى الفلسفة لتجيبهم عن أسئلة تثيرها اعتقاداتهم الدينية . تعتمد الفلسفة على العقل الإنساني وحده دون معونة، وتؤدي عملها بواسطة التحليل والحجة . بينما تعتمد معظم الأديان، في المقابل، على وثيقة سلطوية - كالكتاب المقدس - تُعد إلهاماً إلهياً. يُطلق على هذا المصدر ذي الامتياز للحقائق التي لا تبلغ بأي طريق آخر اسم " الوحي " revelation . تتوخى الفلسفة بصفة عامة الحذر الإستمولوجي، ولا تؤثر الاعتقاد إلا حيثما تكون هناك أدلة كافية . وفي المقابل يعتمد الدين على الايمان - أي الاعتقاد الذي يتخطى، بحكم التعريف، ما يمكن للأدلة المتاحة أن تثبته للعقل)) (3)

وبالتالي تركيب المفهومين يعطي دلالة جديدة تتمحور حول تساعل الفلاسفة حول الدين وهذه الرؤية بدأة عند الفلاسفة اليونان كما نلمسه في محاورات افلاطون وتطور هذا التساؤل حتى تبلور في زمننا المعاصر لذا ((تختلف فلسفة الدين عن الدين مثلما تختلف فلسفة العلم عن العلم . لا تهدف فلسفة الدين إلى الوعظ أو التبشير أو المواجهة أو الإنقاذ أو التحويل، أو التعهد بأي وظيفة من وظائف الدين. ولكنها تهدف إلى تعميق فهمنا حول مجال معين للوجود الإنساني وهو الدين، وخاصة فيما يتعلق بالمفاهيم والاعتقادات الدينية عبر المسائلة الفلسفية، كما إنها تخضع هذه المفاهيم والاعتقادات للنقد العقلاني)) (4)

وتهتم فلسفة الدين بطرح أسئلة حول إمكانية معرفة الله وصفاته والعلاقة بين الله والعالم وطبيعة الدين واللغة الدينية والعبادة والولاء وغيرها من الموضوعات ((وإذا كانت الفلسفة تطرح على الدين أسئلة كالتالي رأيناها، فهي تطرح أسئلة من هذا النوع على أي نشاط يقوم به الإنسان . ويمكن أن نرفع عبارة (الدين) في الأسئلة المذكورة، ونضع مكانها عبارة (الأخلاق) أو (العلم) أو (السياسة) أو (الفن) . هكذا نحصل على فلسفة الدين وفلسفة الأخلاق وفلسفة العلم وفلسفة السياسة وفلسفة الفن فكما أن فلسفة الدين تطرح أسئلة حول الدين وتحاول الاجابة عنها من غير أن تحل محل الدين أو تؤدي وظيفته، هكذا تطرح فلسفة العلم وفلسفة الفن وفلسفة السياسة هذا النوع من الأسئلة حول العلم والفن والسياسة من غير أن تأخذ مكان أي من هذه النشاطات)) (5)

3- إيرل، وليم جيمس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة عادل مصطفى، رؤية - القاهرة، ط1، 2011م، ص278

4- هورنر، كريس وويستاكوت، إمريس، التفكير فلسفياً (مدخل)، الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق، ط1، 2011م، ص358

5- صعب، أديب، المقدمة في فلسفة الدين، دار النهار للنشر - بيروت، ط1، 1994م، ص85

اذن فلسفة الدين تساعد الباحث في الدين على طرح أسئلة تخص واقعه كمتدين وفي خضم التطور المعرفي وموقف الدين من العلم وموقف الدين من العلوم الأخرى وموقف الفرد المتدين من المجتمع وموقفه من العالم وموقفه من الحقيقة والشك وموقف الأديان بعضها من بعض وبمعنى آخر عقلنة الدين بما يتلاءم مع حياته الدينية التي يصبو إليها من خلال المسائلة الفلسفية .

جوزايا رويس⁶

تتركز مجمل فلسفة جوزيا رويس حول مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة وصحيح أن رويس أشاد بفلسفته المثالية الخاصة به ولكن سخرها لمشروعه الديني الذي ركز فيه على مفاهيم فلسفة الدين من خلال ما بحثه من مفاهيم المطلق وعلاقة الفرد بالجماعة ومفهوم الولاء والشك وغيرها من المفاهيم و((التعبير الأول للمثالية الرويسية هي الترجمة بعبارات ما ورائية لاعتقاد رويس بكل أزلي، مطلق إلهي، حيث سنكون نحن الأجزاء . وقد تلقى رويس هذا الاعتقاد من أمه والتي بالنسبة لها كان يعني : جماعة مسيحية، جسم متزهد للمسيح وحيث الناس هم الأعضاء))⁽⁷⁾

و((يعد " المطلق " أولى موضوعات أو مجالات التوفيق بين الدين والفلسفة عند " رويس " ولئن كان " رويس " قد وضع كتاباً يتناول " مفهوم الله "، إلا أنه لم يتبع في دراسة مفهوم الله أو المطلق، المنهج التقليدي في فلسفة الدين، فيعرض لأدلة وجوده وصفاته وأوصافه في صورة مرتبة، أو في دراسة مستقلة⁽⁸⁾

6 فيلسوف أمريكي ولد في كاليفورنيا سنة 1855م وتوفي في كامبردج سنة 1916م . مال إلى الفلسفة بتأثير من سيل، واطروحته حول بروميثيوس مقيدا لأسخيلوس سمحت له بالبروز ووفرت له وسائل الذهاب إلى ألمانيا لمتابعة تحصيله فيها في جامعة لايبنتزيغوتغن ولاسيما محاضرات لوتزه في الجامعة الأخيرة . وعنده عودته إلى الولايات المتحدة تسجل في جامعة جون هوبكنز في بالتيمور حيث تعرف إلى وليم جيمس وتشارلز بيرس واطروحته للدكتوراه حول ترابط مبادئ المعرفة (1878م) أثارت بعض الضجة في الأوساط الفلسفية . وقد استهل نشاطه التعليمي بإعطاء دروس في الأدب الانكليزي في جامعة كاليفورنيا . وفي عام (1885م) عين استاذ فلسفة مساعد في جامعة هارفارد، ثم استاذاً بكرسي في عام (1892م)، وكان ينوب أحياناً عن وليم جيمس في كرسي علم النفس ولم يشغل كرسي الأخلاق، خلفاً لجورج هيربرت بالمر، إلا في عام 1914م أهم مؤلفاته المظهر الديني للفلسفة وروح الفلسفة الحديثة وفلسفة الولاء ومحاضرات في المثالية الحديثة، ينظر، طرايشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة - بيروت، ط3، 2006م، ص334

7- ديلودال، جبرار، الفلسفة الأميركية، ترجمة جورج كتورة وإلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة - بيروت، ط1، 2009م، ص256

8- الأنصاري، أحمد، فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مركز الكتاب للنشر - القاهرة، ط1، 2004م، ص318

إن فكرة الله عند رويس من حيث إنها التجربة المطلقة والشاملة كل الشمول، اضطرت، بصورة طبيعية، مثل برادلي^{9*}، أن ينتبه إلى مشكلة الشر ويهتم بها، يرفض في كتابه " دراسات في الخير والشر " (1898م) أية محاولة لاستبعاد الموضوع عن طريق القول بأن المعاناة والشر الأخلاقي وهم، فهما، على العكس، حقيقتان، ولذلك لا يمكن أن نتجنب النتيجة التي تقول إن الله يعاني عندما نعاني، ولابد أن نفترض أن المعاناة ضرورية من أجل كمال الحياة الإلهية⁽¹⁰⁾

أن مسألة وجود الشر ونسبته إلى الله ظلت مثار جدل وأخذ ورد وخاصة في الفلسفة الإسلامية حيث يرى بعض فلاسفة المسلمين أن الشر معنى عديم وبالتالي غير موجود وإنما الموجود هو الخير وهذا لتبرأة ساحة الله من فعل الشرور ونسبتها إليه ولكن رويس في هذه المسألة يبين أن وجود الشر أمر حقيقي وواقعي ولكن وجود الشر يحتمه عالمنا لأجل التكامل وكمال الحياة الإلهية .

ويرى اميل برهيه أن ((الموضوعة المحورية عند رويس فكرة تسم بعميق ميسمها الذهنية الدينية الأميركية : فالعالم الذي ينتصب فيه الإنسان الحر مستقيماً ويتقدم هو عالم الله وعالمه في آن معاً . وليس للفكرة من قيمة عملية إلا إذا كانت متشخصة تماماً ولا تشابه أية فكرة أخرى : فالعمومية هي علاقة نقص . وما كان الأنا المطلق ليحوز غير هذه العمومية الناقصة لولا أنه يفصح عن نفسه بكثرة كثيرة من الأفراد الذين يصنع كل واحد منهم مصيره بحرية))⁽¹¹⁾

وأيضاً فإن رويس يميز ((بين المعنى الخارجي للفكرة والمعنى الداخلي لها، دعنا نفترض أن لدي فكرة عن (جبل إفرست) من الطبيعي أن نتصور هذه الفكرة على أنها تشير إلى حقيقة واقعية خارجية وتمثلها ؛ وهي الجبل الفعلي، وهذه الوظيفة التمثيلية هي ما يعينها (رويس) بالمعنى الخارجي للفكرة، لكن دعنا، الآن، نفترض أنني فنان، وفي ذهني فكرة عن الصورة التي أريد أن أرسمها، هذه الفكرة يمكن وصفها بأنها (التحقق الجزئي لغرض ما) وهذا الجانب من الفكرة هو ما يسميه (رويس) بمعناها الداخلي))⁽¹²⁾

9 *فرنسيس هريت برادلي فيلسوف إنكليزي ولد في كلافام 1846م وتوفي في أوكسفورد 1924م، أتم دراسته في أكسفورد، حيث أقام من عام 1870م إلى يوم وفاته، بصفة استاذ مساعد في مرتون كوليغ وتأثر بمنهج كانط النقدي والجدلية الهيغلية غير أن مثاليته النازعة نحو التوكيد على إيمان متعالٍ، تسلك دروباً قريبة من دروب الشكية، من مؤلفاته، الظاهر والواقع، دراسات في الأخلاق ومحاولات في الحقيقة والواقع ودراسات في الأخلاق . ينظر، طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة - بيروت، ط3، 2006م، ص156

10- كوبلستون، فردريك، تاريخ الفلسفة، ترجمة محمود سيد أحمد، المركز القومي للترجمة - القاهرة، م8، ط1، 2009م، ص387

11- برهيه، اميل، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة - بيروت، ج7، ط1، 1987م، ص174

12 - كوبلستون، فردريك، تاريخ الفلسفة، م8، ص389

أبرز مرجعياته المعرفية

أولاً : هيجل 13*

سمي التيار الذي أنتمى اليه رويس بالهيجلية الجديدة فقد ((صاغ رويس فلسفة مثالية مطلقة فالواقع حامل لعقل مطلق يتجلى في عقولنا، يوجه الأفراد، ويعطي دلالات للتجارب ومن أجل الحصول على تصور لعالم مستمر منظم لابد من التسليم بوجود تجربة مطلقة تعلم كل الوقائع وتخضع لها باعتبارها قانوناً عاماً، وهو الله، وفي طور مفهوم المعنى الداخلي لفكرة، وباعتباره غاية تحققها هذه الفكرة . ومن هذه الفكرة يتم استنباط العالم الخارجي . مهمة المنطق تفسير أنماط النظم الموضوعية التي لها دلالة ميتافيزيقية وكونية ... تظهر الهيجلية في البحث عن (الروح) ثم في تحويل هذا الروح إلى (علم المنطق) ((⁽¹⁴⁾

وأيضاً فكرة المطلق ((محورية في فلسفته، واهتم بشرح علاقة المتناهي باللامتناهي، والفكر والواقع، والذات والموضوع والفكر والإرادة، والإنسان والمجتمع، وتعقيل الدين . ومثلما ظهرت الروح الهيجلية في موضوعات (رويس) الفلسفية، ظهرت أيضاً في منهجه، ففي كتابه (روح الفلسفة الحديثة)، من الواضح أنه يبحث عن روح الفلسفة الحديثة، وتجلياتها في الفلاسفة والمذاهب، واعتبر المثالية روح هذه الفلسفة وانتهى في كتابه (محاضرات في المثالية الحديثة) إلى اعتبار المثالية دين الفلسفة، وتحويلها إلى حدس ديني ((⁽¹⁵⁾

13 جورج فلهلم فريدريش هيغل، من أشهر فلاسفة ألمانية ولد في شتوتغارت سنة 1770م وتوفي في برلين سنة 1831م، في خرف 1793م حصل على دبلومه في اللاهوت وشهد له أساتذته بقوة المنطق، في 1801م استدعي للتعليم في إيبنا بناء على توصية من شيلنغ، ودافع عن فلسفة شيلنغ ضد فيخته، أبدع خير آثاره فينومينولوجيا الروح سنة 1806م، وتحققت أمنيته في التدريس الجامعي سنة 1816م عندما دعي للتدريس في جامعة هايدلبرغ وهناك بدأ بتكوين مدرسته ومن أشهر مؤلفاته موسوعة العلوم الفلسفية والدروس في فلسفة التاريخ ودروس في تاريخ الفلسفة والمنطق : ينظر، طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ص721

14- حنفي، حسن، مقدمة في علم الاستغراب، مجد - بيروت، ط3، 2006م، ص269

15- الانصاري، أحمد، فلسفة الدين عند جوزيا رويس، ص61

ثانياً : بيرس *

كان بيرس معاصراً لرويس وقد نصحه بدراسة المنطق الرياضي الذي يساعده بتوضيح فرضيته وسيوحد نسقه الفلسفي ((وتبع رويس نصيحة بيرس . وقد سمح له المنطق من جهة أن يكشف فكرة تأويل الجماعة التي سنراها تعطي مدمكاً لفلسفة الجماعة الكبرى وستنقذ (ذرائعية) رويس، وفي نفس الوقت من خاصيتها المطلقة ومن التوجه النفساني . وجعلت منه، من جهة أخرى، واحداً من أوائل الفلاسفة تخصصاً بالمنطق الرمزي ومعلماً لهذا النظام للفلاسفة (((16)

وهذا يتجلى من خلال سعيه للخلود الشخصي للأفراد مستعينا بما أفاض عليه بيرس من توجيهات فرويس يعتقد ((أن كل ذات فردية لها بداية في الزمان، مع أنها لا متناهية في ديمومتها . وعلاوة على ذلك، فكل فرد عبارة عن طور فريد من أطوار الحياة الإلهية . وربما كان أفضل تشبيه لما يذهب إليه رويس هو التشبيه بالأعداد على النحو الآتي :

1	2	3	4		إلى ما لا نهاية
2	4	8	16		إلى ما لا نهاية
3	9	27	81		إلى ما لا نهاية
5	25	125	625		إلى ما لا نهاية
7	49	343	2401		إلى ما لا نهاية

فالسلسلة العددية الأولى المكتوبة فوق الخط وهي سلسلة الأعداد الصحيحة كلها لا متناهية ؛ وهي تصور بها المطلق . والسلسلة المكتوبة أسفل الخط هي كذلك لا متناهية، ومع ذلك فهي أولاً مشتملة على السلسلة الأولى، وثانية تتميز بطابع فريد يجعلها وحدة قائمة بذاتها . وكل واحدة من هذه السلسلة تمثل فرداً من أفراد البشر، وتناظر السلسلة الثالثة نفساً بشرية أخرى وهكذا (17)

* تشارلز ساندروز بيرس، فيلسوف امريكي ولد في كامبردج سنة 1839م وتوفي ملفورد سنة 1914م والده العالم الفلكي والرياضي بنيامين بيرس وقد وفر له تنشئة علمية من الطراز الأول وقد نال شهادة البكالوريوس في الفنون من جامعة هارفارد 1859م وشهادة البكالوريوس في العلوم 1863م وبين عامي 1869م و1875م عمل مساعداً في مرصد هارفارد وانتخب سنة 1876م عضواً في الاكاديمية الوطنية للعلوم وكرس نفسه لسلسلة من الدراسات تتصل بمسائل رياضية وفيزيائية وفلكية وبصرية وكيمياوية ولكن بيرس فرض نفسه كفيلسوف على الوجه الأخص، فقد درس الفلسفة في جامعة هارفارد ودرس المنطق في جامعة جون هوبكنز وارسى دعائم الذرائعية من خلال محاولته الفلسفية (كيف نوضح افكارنا) من أهم مؤلفاته دراسات في المنطق وما الذرائعية والهندسة المعمارية للنظريات وغيرها . ينظر، طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ص220

16- ديلودال، جيرار، الفلسفة الأميركية، ص254

17- رايت، وليم كلي، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، التنوير - بيروت، ط1، 2010م، ص476

وفي المقال الاضافي لرويس من محاضرات جيفورد عارض فيه (برادلي) في موضوع الكثرة اللامتناهية فنضر برادلي ((أن التفكير العقلي يؤدي بنا إلى سلسلة لا متناهية، فاذا ارتبط الكيف (أ) و(ب) مثلاً بالعلاقة س، فإنه يجب علينا أن نختار بين القول بأن س يمكن ردها دون باق إلى (أ) و(ب)، أو لا يمكن ردها هكذا، في الحالة الأولى نكون مجبرين على أن نستنتج أن (أ) و(ب) لا يرتبطان على الإطلاق، أما في الحالة الثانية فإنه يجب علينا أن نسلم بعلاقات أخرى إضافية لكي تربط (أ) و(ب) ب (س)، ودواليك دون نهاية)) (18)

لقد كان انتباه (رويس) متجهاً إلى منطق الرياضيات عن طريق (تشارلز بيرس) ويبين المقال الإضافي ثمرة تأملات (رويس) في هذا الموضوع (19)

ف ((يمكن النظر إلى سلسلة من هذا النوع على أنها كل، صحيح أنها ليست كلاً بالمعنى الذي نستطيع أن نعهده إلى النهاية ونكمل السلسلة، لأنها سلسلة لا متناهية أو لا نهائية فرضاً، لكن إذا أخذنا، مثلاً، سلسلة الأعداد كلها (فإن عالم الرياضة يستطيع أن ينظر إليها كلها على أنها معطاة عن طريق تعريفها الكلي، وتمييزها الناتج الواضح عن كل موضوعات التفكير الأخرى)، وبمعنى آخر ؛ ليس هناك تنافر ذاتي بين فكرة الكل وفكرة السلسلة اللامتناهية)) (20)

وأيضاً ((يشدد (رويس) تحت تأثير (تشارلز بيرس) على دور التأويل في المعرفة البشرية

والحياة؛ وقام بتطبيق هذه الفكرة على نظريتها الأخلاقية، فالفرد لا يستطيع، مثلاً، أن يحقق

نفسه ويبلغ كيانه الذاتي الحقيقي، أو شخصيته دون هدف في الحياة أو خطة في الحياة)) (21)

لقد كان بيرس هذا الفيلسوف الرياضي مع اختلافه بالرؤية مع بيرس ملهماً له فالمعرفة لا تعرف حدوداً بين معتقبيها .

18- كويلستون، فردريك، تاريخ الفلسفة، م8، ص407

19- المصدر نفسه، ص407

20- المصدر نفسه، ص408

21- كويلستون، فردريك، تاريخ الفلسفة، م8، ص404

ثالثاً : وليم جيمس*

كان ر. ب . بيري يقول من خلال مقارنة بين جيمس ورويس في مؤلفه (في مناجاة وليم جيمس) بأن جيمس، أميركي، مقتلع من جذوره، بثقافة أوربية (فصل رداء فكره في النسيج الأميركي وخلق نموذجاً أميركياً جديداً) في حين أن رويس، متجذر (في الحياة الأميركية أعار فلسفته إلى صناع يتبعون الموضة الأوروبية القارية) (22)

ولقد ذكر رويس أنه ((بدأت معرفتي الحقيقية بمضيفنا أحد أيام صيف سنة 1877، عندما زرتة أولاً في دارهم في شارع كوينسي، وأتيحت لي الفرصة أن أفضي بدخيلة نفسي لإنسان كان يبدو عليه أنه مؤمن حقاً بأن من حق شاب في مقتبل العمر أن يكرس نفسه وحياته للفلسفة، إذا اختار ذلك، ولقد اكتشفني جيمس فوراً وتبين اهتماماتي الجوهرية في أول لقاء لنا، وتقبلني بقبول حسن، وبكل ما في من نقائص وشوائب، على اعتبار أنني واحد من تلك الأرواح العديدة التي من حقها أن تتاح لها القدرة على اكتشاف نواتها بطريقتها الخاصة، واستمع إلي بأذن صاغية واعية صبور وأنا أقص عليه ما في جعبتي من أشات خبرتي الفلسفية، ثم بذل نفوذه منذ ذلك الوقت فصاعداً لا ليكسبني باعتباري تابعاً، ولكن ليهيئ لي فرصتي .. فكيفما أكون فالفضل - في هذا المعنى - راجع إليه)) (23)

وعندما غادر جيمس الوطن إلى الخارج سنة 1882 - 1883، أوصى بأن يحل محله رويس طوال العام الدراسي، مؤهلاً ومنتبهاً بأن رويس حين يوطد نفسه راسخاً على أرض ثابتة، سيطفر بمكان ثابت في القسم، كما حدث فعلاً، وفي الفترة الأولى من تراسلها وجد جيمس ورويس أنهما على وفاق في الرأي لمدة ما، فكلاهما مهتم (بالحوافز التي تدفع الناس إلى التفلسف)، وكان جيمس قد قاد زمام هذه المسألة بمقاله (الذي كتب في سنة 1877، ونشر في سنة 1879) عن (عاطفة التعقل) ووجد الاثنان حوافزهما العميقة في الإرادة بدلاً من الفكر البحث (24)

* وليم جيمس، فيلسوف امريكي ولد سنة 1842م وتوفي سنة 1910م وابن المفكر والروائي هنري جيمس، تردد على كثرة من المدارس وداوم في مدرسة هافارد الطبية ثم انقطع عنها ليرافق العالم بالطبيعيات لويس أغاسيز في بعثته إلى حوض الأمازون وفي 1872م بدأ جيمس في هافارد مهنته التدريسية وتأثر بأفكار دارون وحصل لديه صراع فكري قاده إلى حافة الجنون ومن مؤلفاته الوجيز في علم النفس و إرادة الاعتقاد والصور المختلفة للتجربة الدينية . ينظر، طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ص266

22- ديلودال، جيرار، الفلسفة الأميركية، ص249

23- بيري، رالف بارتون، أفكار وشخصية وليم جيمس، ترجمة محمد علي العريان، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط1، 2013م، ص275

24- بيري، رالف بارتون، أفكار وشخصية وليم جيمس، ص276

فلقد قدم (وليم جيمس) فلسفة تبدو في ظاهرها أو للوهلة الأولى، فردية أو ذاتية بحتة، ولكنها جاءت في أعماقها، فلسفة معبرة عن مطالب وحاجات الأمة الأميركية في فترة ما بعد الحرب، ويتسق هذا التقييم لفلسفة (جيمس) مع موقف (رويس) من علاقة الفرد بالمجتمع بصورة عامة (25) في كتابه " الجانب الديني للفلسفة "

يرى (رويس) أنه في هذا الكتاب يقدم مذهباً فلسفياً، ويطبقه على المشكلات الفلسفية التي يرى أنها تثير التساؤلات المحيرة ويخرج لنا (رويس) بفهم ديني جديد مؤسس على فلسفته المثالية ومحولاً التوفيق بين فلسفته المثالية ونظرته الجديدة للدين من خلال فهم جديد لطبيعة هذه المشكلات التي تناولها سواء في هذا كتابه أو في كتبه الأخرى مبتعداً عن السجلات والمناقشات الغير المثمرة مركزاً على الفهم العميق والهادئ لظاهرة التدين من خلال تعامله الواقعي مع الشكوك المثارة ولكن لا على نحو الانسحاق التام معها وإنما من باب الاعتراف بها والتعامل الجديد في دفعها ونقضها بأسلوب غير أقصائي برؤية مثالية جديدة متكاً على مثالية (هيجل) المثالي لا المنطقي بصياغة جديدة تعطي ديناميكية للمفاهيم الهيجلية وعدم الجمود على القوالب الهيجلية وإنما بصياغة جديدة خاصة برويس وحده . إقامة مثل أعلى

يتساءل (رويس) بما تبدأ الفلسفة الدينية ؟ ويجب أننا أوضحنا أنها ((تتميز عن الفلسفة النظرية بسبب ارتباطها وعلاقتها بمثل أعلى معين)) (26)

وهنا يريد (رويس) أن يؤسس لفهم جديد لوجود المثل العليا منطلقاً من السفسطائيين الذين شككوا بوجود هذه المثل الأخلاقية وهي مجرد احكام شخصية وتقاليده ((وكان الدين المحلي يقوم بواجب الدفاع عن هذه المثل " فلقد صنع الله هذه التميزات، والآلهة قادرة على فرضها، ولا بد أن يخشى الفرد هذه الآلهة ")) (27)

وكان للشكاك إجابتان ردا على هذا الموقف الدفاعي:

الأول: إجابة بسيطة (فمن يعرف ما إذا كانت هناك أي آلهة ؟ وإن كانت موجودة، فمن يعرف ماذا اختارت أن تفعل ؟) .

الثانية : فهي أكثر دهاء لأنها تعبر عن ثوب شكى عن صورة جديدة للمثالية الأخلاقية وقد انتقلت إلينا في فقرة من فقرات الكتاب الثاني من " جمهورية افلاطون " ففي هذه الفقرة، يعترف الشابان (جلاكون وأدمانتوس، بأنهما يشعران بالحيرة من اعتراضات السفسطائيين على حقيقة وصحة التميزات

25- الأنصاري، أحمد، فلسفة الدين عند جوزايا رويس، ص88

26- رويس، جوزايا، الجانب الديني للفلسفة، ترجمة أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط2، 2009م،

ص39

27- المصدر نفسه، ص50

الأخلاقية، ويسألان سقراط) مناقشة هذه المسألة لإزالة هذه الاعتراضات والشكوك، ثم قاما بتلخيص لهذه الشكوك كما يلي : لنفترض أن الآلهة بما لديها من قوة لا تقاوم، قامت بفرض قانون أخلاقي معين، فهل يؤدي هذا إلى وجود تمييز حقيقي بين الخير والشر ؟ لأن من يطالبنا بفعل الصواب للحصول على رضا الآلهة، لا يطلب منا في الحقيقة إلا فعل ما نتبصره، ومثل هذه المذاهب، لا يجعل العدالة مرغوبة لذاتها، بل لما تجلبه من نفع من ورائها، ولن يكون هناك فرق حقيقي بين الخير والشر، وإنما فرق بين ما يجلب المكافأة أو العقاب لذلك نرغب منك يا " سقراط "، أن تبين لنا العدالة في ذاتها، والفرق بينها والظلم⁽²⁸⁾

ويرى جويس صعوبة هذه الاسئلة التي وجهت إلى " سقراط " وان " أفلاطون " لم تكن أجابته في الجمهورية كافية فإنه ((لم يقدم النصائح، أو المغريات للنفس الظالمة، حتى يقنعها بحب العدالة، واكتفى بالعبارات البليغة الواصفة للآلام المصاحبة للظلم، وضرورة مقاومة الرغبات، وإمكانية معاناة الروح الطاغية لبؤس أبدي))⁽²⁹⁾

وبالتالي سيتوجه نفس السؤال لأفلاطون ((فلن يسعى الظالم للعدالة ذاتها، وإنما رغبة في المكافأة فإذا لم يكن هناك أساس آخر للعدالة غير ذلك، فمن الممكن أن تفضل بعض النفوس حياة الرغبة والشهوة على حياة التأمل للخير، ولن تعير التفاتا لنصائح أفلاطون، ما دامت تشعر بالسعادة من ممارسة الظلم))⁽³⁰⁾

وكذلك يرى جويس أن موقف " أرسطو " جاء قريبا من موقف " أفلاطون " وأما الابيقورية فأن مذهبهم فهو يركز على المصلحة الشخصية وأن آمن ببعض المفاهيم الأخلاقية، ولكنه يعترف بفكر أخلاقي جديد للرواقيين شابه الفكر المسيحي بثورته الأخلاقية ((بالرغم من أن المسيح قد أسس مذهبه الأخلاقي على اللاهوت، فإنه لم يجعل التمييزات الأخلاقية قائمة على واقعة الثواب والعقاب الإلهي . فلا يكون الفعل خاطئ، بسبب تعارضه مع مبدأ البتوة لله . فلا يستطيع مرتكب الخطيئة أن يحيا في مملكة المساء التي لا ينتمي إليها إلا من كان ابنا لله. وأما عن سبب انتشار الظلام والبكاء خارج المملكة، فذلك بسبب طبيعة الخارج ذاتها لذا بالرغم من السمة اللاهوتية التي قدمها لنا المسيح لطبيعة الأخلاق، فإن الإلزام بها لم يعتمد على الإرادة المطلقة لله، وإنما على علاقة ضرورية وخاصة بين الله والمخلوقات، وما دام الله هو هو، وطبيعة الخلق ثابتة، فهذه العلاقة تظل مستمرة وقائمة))⁽³¹⁾

28- المصدر نفسه، ص50

29- رويس، جوزايا، الجانب الديني للفلسفة، ص51

30 - المصدر نفسه، ص52

31- المصدر نفسه، ص53

فالأخلاق المسيحية مبنية على الحب والعطاء لا على البطش وبالتالي فإن الله يحب عباده الصالح والمسيء فتشملهم العدالة الإلهية وبالتالي يرجع المسيء إلى حضيرة الله لأنه لم يرى منه إلا الحب والعطف فالعلاقة بين العبد وربّه علاقة شخصية وليست سياسية على ما يرى (رويس) فتعامل الأب بما عاملك من محبة وتعود إليه فهو مثالك الذي تصبو إليه ((ولكن إذا ما صح ذلك فإن أخلاق المسيح، لم تؤسس على نظرية لاهوتية فقط، وإنما على نوع من تبصر الفرد بواجبه الخاص، بضرورة مبادلة الحب الإلهي)) (32)

ولكن رويس يرى أن هذا الحب لا يكون حافظا لمعرفة المثال المتجسد بـ (الله) ؛ وذلك لأن الفرد الذي لا يحب أخيه وهو أقرب إلى ادراك الحسيات منه إلى ادراك الغيبات فكيف بالله الذي هو غير محسوس وبالتالي تبقى الاشكالية كما هي .

ولذا يوضح (رويس) أن أدراك الغايات المتصارعة من جانب البصيرة يؤدي إلى ادراك الارادة الكلية من خلال شكنا بهذه الغايات وبحثنا فيها لذا ((إنه برغم من شعورك بهذا التشتت، وإذا ما تأملت الموقف جيدا، فإنك تجد نفسك في الحقيقة تعاني من الحالة، ومن الوضع الذي شرحناه سابقا . فما زال لديك بالفعل هدفا وغاية وتسعى للوحدة . وترغب في انتهاء الصراع بين الغايات ولديك غاية بعيدة، مثل أعلى كل ذلك عبارة عن حقيقة طبيعية، تعتمد على طبيعتك بوصفك كائنا ممتازا مريدا، ولكن لا تكمن قيمته في ذلك فقط، وإنما بسبب أن في اكتشافك لهذه الحقيقة، تكون قد اكتشفت ما تسعى إليه . فاكشفت أن لديك مثالا أعلى ولن تستطيع الفكاك منه، إلا بتكرار نفس العملية الفكرية التي جعلتك تكتشفه . ولقد تم اكتسابك للبصيرة الخلقية)) (33)

لذلك فإن النتيجة التي انتهينا إليها هي أنه لك أن تظل على ضلالك، فليست لدينا الوسائل التي تخلصك منه ولكن إذا رغبت معرفة كل الحقيقة الأخلاقية، فلن تجدها إلا في البصيرة الخلقية وكل ما عداها ما هو إلا رغبتك الخاصة، ولكي تحقق البصيرة الخلقية، لابد أن يكون لديك الرغبة في الوصول إلى الحقيقة، بوصفها كامنة بين الغايات المتعارضة والمتصارعة لمذهبين أو أكثر فإذا ما تم ذلك، تكون البصيرة الخلقية الناتج الضروري، حتى للمذهب الشكي ذاته (34)

وهكذا يتضح كيف أن (رويس) أقام مذهبه الأخلاقي منطلقا من أثبات مثله الأعلى بواسطة البصيرة الخلقية بعد رحلة شكية خاضها مع المدارس المختلفة منطلقا من الواقع الموضوعي متعاملا بجدية حول التساؤلات المثارة بموضوعية علمية .

32- رويس، جوزايا، الجانبالديني للفلسفة، ص57

33- المصدر نفسه، ص123

34- المصدر نفسه، ص139

كتاب (روح الفلسفة الحديثة)

نظرة اجمالية

في هذا الكتاب ينطلق رويس من مفهوم أن التاريخ هو الذي يشكل المذاهب الفلسفية، وبالتالي يظهر نشوء المذاهب الفلسفية الحديثة ونشوتها التعاقبى من خلال المراحل التي شغلته كل فلسفة وروحها العامة، منطلقا من القرن السابع عشر مبين روح العصر في تلك الحقبة وماهية العلوم التي سادة ؛ فيرى سيادة العلوم الطبيعية في ظل حكومة مستبدة، وبالتالي يبين رويس كيف أن العلوم الطبيعية ومنها الهندسة أخذت بلب العقول مما حيد مفهوم الدين نوعا ما، فلا يخفى منجزات جاليلو ومحاولاته استتطاق الطبيعة فتحول تفسير كل شيء وحتى المشاعر تفسيراً آلياً مرتبطاً بالتطور الطبيعي . وينطلق (رويس) كبداية لبيان روح الفلسفة في عهد الفيلسوف الديكارتى (اسبينوزا)⁽³⁵⁾ الذي يمثل مذهبه خليطاً من عدة اتجاهات ولكنه يهتم بالجانب الدينى في فلسفة اسبينوزا ؛ لأنه من اصحاب العقائد الدينية . ولكنه لم يكن يهودياً في تفكيره وانما فيلسوفاً ابن عصره منطلقاً من فلسفه مثالية مدارها على حب الله فهو العقل الوحيد ونحن اجزائه والحب من جانبنا انما هو حب الله .

وبالنسبة لكانط³⁶ فقد استعرض قبله بعض الفلاسفة كلوك وباركلي وهيوم ولكن (رويس) يعتبر كانط من اكثر الفلاسفة أثارة لتساؤلات دارسي الفلسفة في العصر الحديث، لذا فإنه يبين صعوبة فهم فلسفته التي تحتاج باع طويل من الدراسة الميتافيزيقية، فكانط كان في زمن تزلزلت فيه الثوابت الدينية واضحى (الله) موضوعاً لنظرية، وبالتالي دب الشك في مجمل القيم، فأخذ يبحث في البراهين العقلية، لينظر في أصل إيمانه بعيداً عن العاطفة فيقول رويس نقلاً عن كانط ((فإن كنت لا أعرف شيئاً عن الله

35- باروخ أو بندكتاساسبينوزا، ولد في امستردام سنة 1632م وتوفي في لاهاي سنة 1677م ولم تعرف حياته أحداثاً كبيرة بل قضاها جلها في الدرس والتأمل . وابوه زعيم للجالية اليهودية في امستردام، وتعلم اسبينوزا اللاتينية، ثم قرأ ديكارت، وتأثر ببعض الكتابات التي تتقاطع مع ثوابت الدين اليهودي مما جعله تحت المراقبة، نتيجة اجتماع فعرض الميردين لأفكاره الجديدة، من مؤلفاته علم الأخلاق والرسالة اللاهوتية - السياسية . ينظر، طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ص359

36 عمانويل كانط، فيلسوف الماني . ولد ومات في كونيجسبرغ (1724م - 1804م) من اسرة برجوازية صغيرة، وتأثر بالحركة التقوية التي كانت امه من انصارها وتردد على المعهد (الفريديكي) وداوم في جامعة كونيجسبرغ وقد وقف نفسه لدراسة الفلسفة والطبيعات وفضل رسالتيه التين وضعهما باللاتينية الاولى في النار والثانية في المبادئ الاولى للمعرفة الميتافيزيقية سنة 1755م حصل على شهادة الدكتوراه وبعد سنة تقدم برسالة أخرى بعنوان المونادولوجيا الطبيعية ألهته أستاذ لكرسي الرياضيات والفلسفة . من مؤلفاته نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي واسس ميتافيزيقا الأخلاق . ينظر، طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، ص513

نفسه، أو عن العالم، إلا أنني أستطيع معرفة شيء عن طبيعتي، ويجب أن أسلك كما لو كان الله يراني الآن)) (37)

ويسمي رويس مذهب كانط هذا بمذهب الفهم المستتير والذي سوف يطبقه على اللاهوت والهندسة كذلك . فهو يتخذ التطبيق في مشروعة الفلسفي والمعرفي .

ورويس من خلال مباحثه الاولى من سرده لسيرة وفكر الفلاسفة ؛ يريد أن يطرح مذهبه والذي يبين أنه محاولة للتأليف بين الافكار التي استقيدت من فهم تاريخ الفلسفة، بعد أن يدخل في بيان المذهب التطوري وعلاقته بالعالم ثم يصل إلى نتيجة مؤداها ؛ أن العالم الخارجي بغض النظر عن رأي المثالية فيه فإن المثالية الحديثة تؤكد ((وجود علاقات عضوية بين العالم الباطني والعالم الخارجي، فإن كان أحدهما عالم المفكر فالثاني موضوع فكره)) (38)

وبالتالي يصل بنا رويس إلى العالم التكاملي أي عالم (اللوجوس) فإن العالم بشقيه الباطني والخارجي هو تمثل لهذا اللوجوس، فيكون اللوجوس هو حياتنا الكاملة لأنه ((ذاتنا الإلهية الحققة، ونستطيع أن نسمعه يقول لنا : يا من أصابك اليأس، لا تحزن، فياسك ياسي، وحزنك حزني، وألمك ألمي، وأشعر بكل آلامك لأنها جزء مني، أعاشها وأحيها، وأستطيع الانتصار والتغلب عليها، إن هذه العبارة التي تنطق بها الذات، نستطيع أن نثق فيها ؛ لأنها خلاصة كل النظرة المثالية)) (39)

وهذا كما يرى جويس أن المسيحية التقليدية جسدت للعالم بصورة رمزية، وهي فكرة الإله الذي تجسد في الأرض وخضب بجراح العواطف التي سببها له الحمقى ؛ لذا فنحن هو وهو نحن، وهذا المذهب كما يرى رويس أتى من خلال جمع المعارف المتناثرة في التاريخ من خلال ما سرد من فكر الفلاسفة من إسبينوزا إلى هيغل فقد وجدنا من خلال رحلة الشك يقيناً واحداً هو اللوغوس الذي هو يمثل عظمة الروح المحيطة بنا .

37- رويس، جوزيانا، روح الفلسفة الفلسفة الحديثة، ترجمة أحمد الانصاري، المركز القومي - مصر، ط2، 2009م،

ص187

38- المصدر نفسه، ص376

39- المصدر نفسه، ص493